يا صاحبَ القُبَّةِ البيضاءِ

يـــا

صاحبَ القُبَّةِ البيضاءِ في النَّجـفِ
مَن زارَ قبرَكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شَفِي
زوروا أبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـــمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَفِ
زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـــي
إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـفِ
حتَّى إذا طِفْـتَ سَبْعاً حولَ قُبَّتِهِ
تأمَّـلْ البابَ تلْقى وَجْهَهُ فَقِـفِ
وقُل سَلامٌ من الله الســلامِ على
أهـلِ السلامِ وأهلِ العلمِ والشـرَفِ

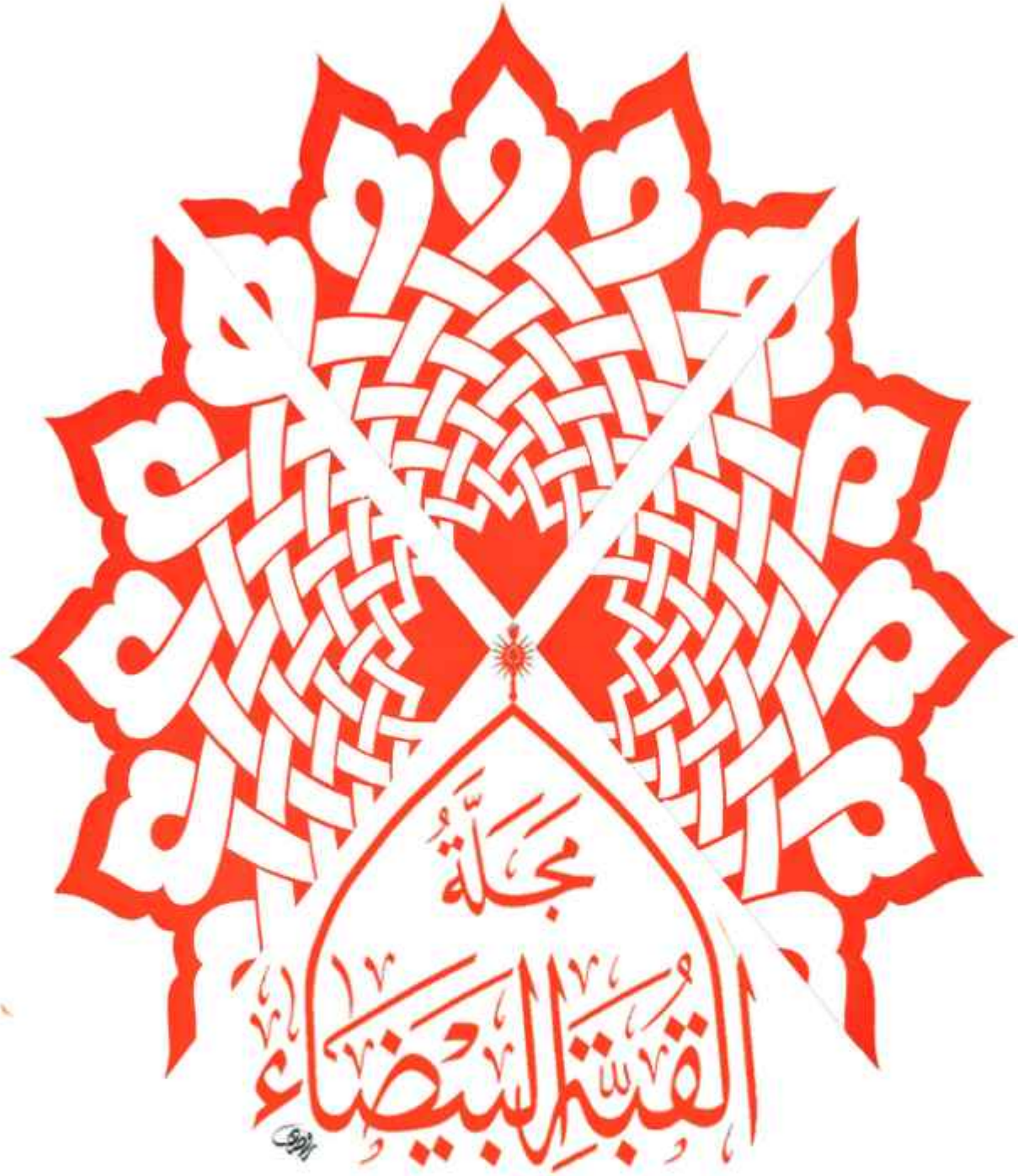

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية

السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

العدد (٩)جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م المجلد السابع

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: الرقم: ب ت/ ٤/ ٨١٦٥
Date: التاريخ: ٢٠/ ٧/ ٢٠٢٥

ديوان الوقف الشيعي/ دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة القبة البيضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٣٧٥ بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٩، والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٤/ ٣٠٠٨ في ٢٠٢٤/٣/١٩، والمتضمن استحداث مجلتكم التي تصدر عن دائرتكم المذكوره إعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا اعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ٧ /١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادرة

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة القبة البيضاء مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

مهند ابراهيم
١٥/ تموز

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ. د. سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية
مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي
هيأة التحرير
أ. د. علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
أ. د. علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ. م. د. عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
أ. م. د. أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م. د. طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
هيأة التحرير من خارج العراق
أ. د. مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ. د. محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ. د. خولة حمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وأديان..أديان
أ. د. نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

التدقيق اللغوي
أ. م. د. علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الاساسية
الترجمة
أ. م. د. رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق(عليه السلام)كلية الآداب

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات

مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830

رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off_research@sed.gov.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١-إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢- إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣-أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤-أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصيغة APA

٦-أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧-أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨-أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب. اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩-أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠-تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١-في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢-يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣-يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤-لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥-لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦-دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧-يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨-يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩-يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠-تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١-ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكتروني: (off_research@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢-لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخِلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة انسانية اجتماعية فصلية تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي
محتوى العدد (٩) جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م المجلد السابع

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	تجليات الآخر في الشعر البصري بدر شاكر السيّاب اختياراً	أ.م. د. سعد سامي محمد	٨
٢	كنى الإمام الكاظم (عليه السلام) وألقابه دراسة حجاجية	م. د. محمد جاسم حنون	٢٦
٣	اتجاهات النقد اللغوي في مؤلفات الدكتور نعمة رحيم العزاوي	م. د. آمنة سالم حسن	٤٢
٤	عبد الرشيد علي شارماركي رحلة القيادة والاغتيال التي غيرت مسار الصومال ١٩١٩-١٩٦٩	أ. م. د. عبد الوهاب صالح محمود م. د. غادة فائق محمد	٥٢
٥	الحوار الشعري في ديوان إبراهيم بن هرمة	م.د. غزوة كاظم حيال	٦٦
٦	النمذجة الخرائطية لتحديد مخاطر الفيضانات لأودية شمال مدينة زاخو في محافظة دهوك باستعمال التقانات الحديثة والذكاء الصناعي (AI)	م. د. عباس ضاحي سلمان	٧٦
٧	القيم في نهج البلاغة «دراسة حجاجيّة»	م. د.وسن هاشم عودة	٩٢
٨	القواعد الاصولية المتعلقة بالإستثناء في كتاب "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ت ٨٥٥هـ" نماذج تطبيقية	م.د. مصطفى أشرف عبد	١٠٦
٩	المنهج الفكري وعلاقته بالواقع السياسي عند الإمام الحسن العسكري «عليه السلام»	م. د.أحمد يوسف مسلم	١٢٠
١٠	أحكام السهو والنسيان المتعلقة بمناسك الحج دراسة فقهية مقارنة	م. د. رياض ناجي عبيد	١٣٢
١١	آراء الفقهاء فيما يتعلق بمعنى القرء – دراسة فقهية مقارنة–	م. د.علي لطيف حمد صالح	١٤٦
١٢	أثر استراتيجية التفكير البصري في تحصيل طلاب المتوسطة في مادة التاريخ والعزيمة الأكاديمية	م. د. علي ثاجب خواف	١٥٤
١٣	خلق النبي (ص) ومعجزاته من خلال مخطوط خلاصة الاخبار في أحوال النبي المختار للإسكداري (ت١٠٣٨هـ/١٦٢٩م) الفصل الخامس والسادس من الباب الثالث (دراسة وتحقيق)	م. د. رسمية خماط عبد الزهرة	١٧٤
١٤	الأوضاع الداخلية للبرازيل إبان حكومة خوسيه سارني «١٩٨٥– ١٩٩٠»	م.د. أمل محمد عبدالله	٢٠٠
١٥	ضمانات أمن الطيران وفق الملحق السابع عشر باتفاقية شيكاغو لعام «١٩٤٤»	أ. د. خالد سلمان جواد الباحث: سرمد سعدي حسين	٢١٤
١٦	دور التدريب في تنمية مهارات المرشدين التربويين في المدارس الثانوية	الباحث: طاهر حبيب موسى	٢٢٦
١٧	القرآنية في الشعر المعاصر دراسة تطبيقية في شعر مشتاق معن عباس بين التناص القرآني والتحوير الدلالي	الباحث: أحمد عبد الامير حسين	٢٤٢
١٨	أسلوبية الاستعارة في شعر المساجلات والمعارضاتفي الأدب العراقي الحديث	الباحث: منذر عباس ضمد	٢٥٨
١٩	الكفايات القيادية التعليمية المعرفية اللازمة لمعلم التربية الفنية في ضوء مستجدات التعليم الرقمي	م. م. زينة ستار احمد م. م. نور عبد العزيز مجيد	٢٦٦
٢٠	التمثيل الخرائطي للتوزيع الجغرافي لإنتاج محاصيل الحبوب في ناحية المنصورية لعام ٢٠٢٤	الباحثة: داليا حسين علي أ.م.د. مروة سالم محمد جاسم	٢٨٠
٢١	الفرس في شب الجزيرة العربية«دراسه تأريخية»	م. م. هناء عطية ثعبان	٢٩٤
٢٢	البعد السياسي والامني لمشروع الربط السككي بين العراق وايران وآثاره الاقتصادية على المنطقة	م. م. نور سمير محمد م. م. علي رزاق شحيت	٣٠٢
٢٣	الشخصية الوسواسية لدى متعاطي المخدرات	م. م. ابتسام عباس ياسين	٣١٠
٢٤	الطبيعة القانونية لإلتزام الجراح بتبصير المريض في العمليات الجراحية التجميلية (دراسة قانونية مقارنة)	م. م. محمد ابراهيم عبد الله	٣١٦
٢٥	The Effect of Using Short Educational Videos (Micro-learning) on Improving Listening Skills and Comprehension among Iraqi EFL Primary School Pupils	Tamadhur Okab Sarhan	٣٣٤
٢٦	أثر مباحث علوم القرآن في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي	الباحثة: زينب حسين عبيد	٣٥٢
٢٧	اللون والسيميائية في الشعر العربي قراءة تحليلية في تجربة أبي نواس اللغوية والجمالية	الباحث: أثير شنشول ساهي	٣٦٢
٢٨	الشاعر والطبيعة والوطن: رمزية الطبيعة والسياسة في الشعر العراقي المعاصر	الباحث: حسنين عبد طارش	٣٧٨
٢٩	الأساليب البلاغية وتعبيرها عن القيم في شعر الصعاليك دراسة تحليلية في اللغة العربية	الباحث: زياد حسن كريم ناصر	٤٠٢
٣٠	دراسة مقارنة في وصف الأصوات العربية بين ابن جني وكمال محمد على بشر الرؤية التراثية والحديثة للمخارج والصفات	م. م. نجم عبد فندي	٤١٨

القيم في نهج البلاغة «دراسة حجاجيّة»

م. د. وسن هاشم عودة
وزارة التربية/ المديريّة العامّة للتربيّة في محافظة بغداد الرصافة الثّالثة

للمستخلص:
تنطلق المجتمعات في مسيرة حياتها من القيم والمبادئ المقرّة من قبل أفرادها؛ فالمجتمع الذي يفتقد القيم يكون مصيره الزوال؛ إذ يأكل بعضه بعضاً؛ لذا فإنّ جلّ النّصوص الواردة عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة تعالج القيم الإنسانيّة جميعها, كالحقّ والعدل, والمساواة, والخير, والجهاد, والتّقوى, والرحمة, والصدق, والشجاعة, وغيرها من القيم التي تمثّل قضايا إنسانيّة وأخلاقيّة وفكريّة وعقائديّة, وجاءت معالجة هذه القيم بصورة تأثيريّة عميقة الأثر في نفس السّامع وفكره وروحه؛ فهي لم ترد في عبارات تقريريّة, بل صاغها الإمام عليّ (عليه السلام) بأسلوب بلاغيّ إقناعيّ عقليّ بان فيه الأثر الجلّي لفكره وقيمه الإنسانيّة؛ لتكون أسوغ في الإذعان والتسلّيم بها من قبل السّامع.

الكلمات المفاتيح: أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام), الحِجاج, مقدّمات الحِجاج, القيم.

Abstract:

Societies start their life journey from the values and principles established by their members. A society that lacks values is destined to collapse, as it will eat itself up. Therefore, most of the texts narrated from the Commander of the Faithful, Ali ibn Abi Talib (peace by upon him), in Nahj al- Balagha address all human values, such as truth, justice, equality, goodness, jihad, piety, mercy, honesty, courage, and other values that represent human, moral, intellectual, and ideological issues. These values are addressed in a deeply influential manner that affects the listeners soul, mind, and spirit. They were not presented in declarative phrases, but rather were formulated by Imam Ali (peace be upon him) in a rhetorical, persuasive, and rational style that clearly reflects the impact of his humane thought and values, making them more acceptable for the listener to and accept.

Keywords: Commander of the Faithful Ali (peace be upon him), argumentation , introductions to argumentation, values.

المقدّمة:

إنّ الدراسات اللسانيّة قسّمت النّصوص على أقسام بحسب الخصائص المميّزة لكلّ قسم منها (الدريدي، ٢٠١١، صفحة ٢٥)، وما يهمنا هنا هو النّص الحجاجيّ الذي يُقصد به تغيير اعتقاد يُفترَض وجوده عند المتلقي وإقناعه بوجهة نظر جديدة. وعليه فالهدف الرئيس من النّص الحجاجيّ هو الإقناع والتسلّيم (الصبيحي، صفحة ١٠٨).

والنّص الحجاجيّ قبل أن يستوي كياناً مؤلفاً من تقنيّات حجاجيّة يواجه بها المتكلّم المخاطَب؛ لإيقاع التّصديق, هو منطلقات حجاجيّة مدارها على مقدّمات تؤخذ على أنّها مُسلّمات يقبل بها الجمهور (صولة، ٢٠١١، صفحة ٢٣), فالحِجاج يُبنى على جملة من التّصوّرات, والمقدّمات, والفرضيات, التي ينسج منها المُحاجج خُططه البرهانية, وبمده المقدّمات يُستمال المعنيون, كما أنّ لهم الحقّ في رفضها إذا لم تنسجم مع تصوّراتهم, أو كانت من البساطة بحيث لا تمثّل أيّ عنصر جذّاب (الأمين، ٢٠٠٨، صفحة ١١١).

وعليه سنتطرق في هذا البحث إلى مقدّمات الحجاج عند «برلمان» ونبحث في إحدى هذه المقدّمات, وهي «القيم» ونبيّن كيف جعلها أمير المؤمنين (عليه السلام) إحدى منطلقات حجاجه مع جمهور سامعيه, واستطاع من خلالها إقناعهم ودفعهم لعمل ما ترتب عليه ذلك الإقناع؛ إذ تؤدي القيم دوراً بارزاً في حياة الناس جميعاً, وهذا بدوره ينعكس على صلاح المجتمع أو فساده.

– أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام):

يعدّ الإمام عليّ (عليه السلام) أكبر شخصية عرفها التأريخ بعد الرسول الأكرم محمّد (صلّى الله عليه واله وسلّم). فعند مراجعتنا لترجمة حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) وجدناها حافلة بالفضائل إلى أرفع مستوى ممكن أن يتخيّله الإنسان، وأقصى درجة ممكنة، فهي منزهة عن كلّ ما يشوّه ويمسّ ويحط من قدسية الإمام (عليه السلام) ومكانته، وليس هذا ادّعاء، بل كتب التأريخ الصحيح أصدق دليل على ذلك (القزويني، ١٩٩٣، صفحة ٨).

إنّ في سيرة عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ما يسحر الخيال؛ إذ تغوص الشاعريّة الإنسانيّة في الأغوار وتحلّق في الأجواء. فهو الفارس الهمام الذي اتفق على تعظيمه شهود العيان وعشاق الأعاجيب، ونزعت به الشاعريّة الإنسانيّة منزع الحقيقة والتخييل (العقّاد، ١٩٧١، صفحة ٦٨٤). فالحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يمثّل حديثاً عن الإسلام الصحيح في مجالاته جميعا، وفي دور التأسيس والتكوين خاصة، ومدى تأثّر النفوس البشريّة بالتربيّة الإسلاميّة (القزويني، ١٩٩٣، صفحة ٩).

– نسبه وولادته:

هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. وله أسماء كثيرة أشهرها حيدرة وتعني الأسد، وهو الاسم الذي اختارته له أمه على اسم أبيها، ثمّ غيّره أبوه فسمّاه عليّاً وبه عُرف واشتهر (العقّاد، ١٩٧١، صفحة ٦٨٧). وهو ابن عم رسول الله محمّد (صلّى الله عليه واله وسلّم)، فأبو طالب هو شقيق عبد الله والد النبيّ (صلّى الله عليه واله وسلّم) (الصلابي، ٢٠٠٥، صفحة ٢١). ولد يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب المعظّم، ثلاثين سنة مضت من عام الفيل (القزويني، ١٩٩٣، صفحة ١٨).

وهو أوّل هاشميّ من أبوين هاشميين، وقد ولد داخل الكعبة المشرّفة؛ إذ انشق الجدار من الجانب المسمّى «المستجار»، ودخلت أمه فاطمة بنت أسد إلى جوف الكعبة، وعادت الفتحة والتزقت وولدت السيدة أبنها عليًا، وبقيت ثلاثة أيام داخل الكعبة، تأكل من ثمار الجنّة، ومن المعلوم أنّ للكعبة بابا يمكن الدخول والخروج منه، لكنّ الباب لم يفتح، بل انشق الجدار؛ ليكون أدلّ وأبلغ وأوضح على خرق العادة، وكي لا يمكن إسناد الأمر إلى الصدفة (القزويني، ١٩٩٣، الصفحات ١٤–١٥). فميلاده كان إيذاناً بعهد جديد للكعبة وللعبادة فيها، وقد كرّم الله وجهه عن السجود لأصنامها (العقّاد، ١٩٧١، صفحة ٧٠٥)، بل وتحطيمها.

– كنيته ولقبه:

يُكنّى بأبي الحسن، وهو ابنه الأكبر من وِلد السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول محمّد (صلّى الله عليهم وسلّم أجمعين)، وبأبي السبطين، وكناه أيضاً رسول الله (صلّى الله عليه واله وسلم) بأبي تراب وهي كنية كان يفرح بها الإمام عليّ (عليه السلام) إذا نودي بها. أمّا ألقابه فأشهرها: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين (الصلابي، ٢٠٠٥، الصفحات ٢١–٢٢). وكانت مدة خلافته (عليه السلام) أربع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام؛ إذ بويع للخلافة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة لعام خمس وثلاثين، واستشهد (عليه السلام) في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان الفضيل لعام أربعين للهجرة (الصلابي، ٢٠٠٥، صفحة ٧٧٩).

– صفاته:

عُرف عليّ (عليه السلام) بالقوّة والشجاعة، وبزاد عليها تشريفا أنّها زُينت بأجمل الصفات التي تزين شجاعة الشجعان الأشداء بغير كلفة أو مجاهدة كالتورع عن البغي؛ فكان لا يبدأ أحداً بقتال أبدا. ومن صفاته الأخرى: المروءة مع الخصم ضعيفا كان أو قوياً، وسلامة صدره من الضغن على العدو بعد الفراغ من القتال (العقّاد، ١٩٧١، صفحة ٦٩٠). وغيرها كثير من الصفات التي يتحلّى بها الصالحون، ومن أهمّها: البلاغة والفصاحة والبيان، فأحسن الحديث هو الذي يكون قليلاً في ألفاظه، لكن معناه جليّ ويُغني عن الكثير (الشيرازيّ، صفحة ١٩/١). وخير ما يمثّل ذلك بعد كلام الله ونبيّه الأكرم محمّد (صلّى الله عليه واله وسلّم) هو كلام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)؛ فهو ينبوع البلاغة والحكمة والفصاحة، وهذا ما أكدّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بقوله: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)، فهذا الحديث

يصدق على أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) قبل غيره؛ فكلماته في مصاف كلمات الأنبياء (عليهم السلام) (العقّاد، ١٩٧١، صفحة ١/١٤٥). وخير دليل على ذلك ما نلتمسه فيما روي عنه من خطب وحكم وأقوال وردت عنه في كتاب نهج البلاغة؛ فقد عنّي النهج بمشاكل الإنسان التي يواجهها في مختلف مجالات حياته, كالمشاكل الاجتماعيّة والاقتصاديّة وحتّى مشكلاته الروحيّة, وليس ذلك فحسب, بل كان يضع الحلول المناسبة لها؛ لكي تجعل الإنسان يعيش بخير وسلام (شمس الدين، ٢٠٠٧، صفحة ١٩).

– مفهوم الحجاج:

– الحجاج لغة: القصد, فهو من الحجّ, والحجّ يعني: القصد؛ إذ حجّ إلينا فلان, أي: قدِمَ, وحجّه يحجُّه: قَصده, ورجل محجوج: أي: مقصود, وقد حجّ فلان فلاناً إذا أطال الاختلاف إليه, وله معانٍ أخرى منها: التخاصم, والبرهان, والجدل, وحِجاج وحِجج هي جمع لكلمة الحُجّة, وقيل الحَجّة: ما دوفع به الخصم, والحُجّة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة, والتحاجج: التخاصم, وحاجّهُ محاجّةً وحجاجاً: نازعه الحجّة, والحُجّة: الدليل والبرهان, وهو رجل محجاج أي: جَدِل (ابن منظور، ١٤١٤-١٩٩٣، صفحة ٢/٢٢٨). وجاء في المعجمات الغربيّة معنيان للحجاج أو المُحاجّة : – الأوّل: سرد حجج تنزع كلّها إلى الخلاصة ذاتها. والثّاني: طريقة عرض الحجج وترتيبها (الدريه، ٢٠٠١، صفحة ١/٩٤).

– الحجاج اصطلاحا:

يدخل مفهوم الحجاج في المقاربات اللسانيّة, والخطابة المعاصرة, والعلوم الفلسفيّة, والنفسيّة, والمنطقيّة, والبلاغيّة التقليديّة, وكذلك في الدراسات القانونيّة, والبلاغيّة التقليديّة؛ لذا فمفهوم الحجاج مفهوم رحب تصعب الإحاطة به.

وعليه لا يمكن حصر مفهوم الحجاج بمعنى معيّن؛ فمفهومه يختلف من حقل معرفيّ إلى آخر بحسب العلوم التي يُوظّف الحجاج داخلها أساساً أو عرضاً, وعلى وفق قوامها المعرفيّ, ولكنّ جلّ التعريفات, وكيفما كانت انطلاقاتها المعرفيّة وحقولها التجريبيّة يجمعها – في نهاية المطاف – خيط يربط بين غايات وقواعد المنهج الحجاجيّ, وبهذا فهو خيط يجمع بين الإقناعيّة والعقليّة في الأطروحات والقضايا التي تساق حجاجيّاً؛ ممّا يؤدّي إلى مصداقيّة الحجاج ومشروعيّته, كلّما احتاج المقام أو محيطه إلى مسوغات إجرائيّة أو استدلاليّة على صعيد اللغة والخطاب (العمري و آخرون، ٢٠١٠، صفحة ٢/٢٤٠).

لكنّ الحجاج يبقى في مفهومه الشامل العام هو نشاط ثقافيّ في التلقيّ والإنتاج, وبذلك فهو نشاط للتفكير في كلّ ما هو قابل للنظر والنقاش من أفكار وآراء ومواضيع في حيز الاحترام المتبادل بين الأفكار والثقافات المختلفة دون تعصّب؛ لكونه شكلاً من أشكال الحوار والتواصل, والتخاطب (عشير، ٢٠٠٦، صفحة ١٢).

– مقدّمات الحجاج:

تعدّ المقدّمات الحجاجيّة منطلقات ينطلق منها الخطيب في خطابه مع جمهوره؛ لذا يمكن التعامل معها في كونها حاوية مقاصد المُحاجّ أو الخطيب مُتضمنّة غاياته, والوقوف عليها يقتضي تحصيل النوايا المُضمرة التي يقصد المُحاجّ إلى بلوغها لحظة إلقائها على مسامع جمهوره (الشبعان، ٢٠١٠، صفحة ٢٤٨).

وهذه المقدّمات – بحسب رأي «برلمان» – يُمكن ردّها إلى ضربين (صولة، ٢٠١١، صفحة ٢٩). ضربٌ مداره على الواقع, وهو الخاص بالوقائع, والحقائق, والافتراضات. وضربٌ مدارهُ على المفضّل, وهو المتعلّق بالقيم, ومراتبها, ومواضع الأفضل فيها؛ إذ بدون هذه المقدّمات لا يمكن لأيّ خطاب إحداث التغيّر المطلوب في قناعات وعقائد المتلقين. وللحجاج في هذه المستويات مظاهر متعدّدة, منها ما يولّده المقام, ومنها ما يهتدي إليه المُحاجج بحذقه, ووعيه بطاقات مخاطبيه المعرفيّة, وظروف القول عامّة؛ إذ إنّ هذه المقدّمات التي يُؤسّس عليها الحجاج ليست ذات فاعلية في ذاتها بمعزل عن كفاية الخطيب ووعيه, اللذين بهما تكتسب عناصر الحِجاج شحنتها الحِجاجيّة (العمري و آخرون، ٢٠١٠، صفحة ٥٠٧). ولا نغفل عن أنّ الخطيب في اختياره لهذه المقدّمات, وطريقة صوغها وترتيبها له في حدّ ذاته قيمة حجاجيّة, حيث يبدو الفصل بين منطلقات الحِجاج وتقنيّات الحِجاج فصلاً متكلّفاً, ولكنّه فصلٌ منهجيّ كما

صرّح به المؤلّفان (صولة، ٢٠١١، صفحة ٢٣)؛ من أجل إقناع السّامع بما يلقى عليه من دعوى.
فالمقدّمات الحجاجيّة تختص بخصائص متعدّدة, هي: (النقاريّ و آخرون، ٢٠٠٦، صفحة ٦٦).
١– إنّها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشريّة معيّنة.
٢– العموميّة: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوّعة.
٣– التدرّج: أي: إنّها تُقيم علاقة بين محمولين تدّرجيين, أو بين سُلّمين حِجاجيين (العمل – النجاح) مثلاً.
٤– النّسبيّة: فإلى جانب السياقات التي يتمّ فيها تشغيل مبدأ حِجاجيّ ما, هناك إمكان إبطاله, ورفض تطبيقه بوصفه غير وارد, وغير ملائم للسياق المقصود.
وقد وجدنا أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ينطلق في كلامه من منطلقات وافقت طبيعة الفكر العربيّ الإسلاميّ وممّا هو مشترك بينهم من معتقدات, وأفكار, وقيم واضحة وراسّخة في أذهانهم؛ لتكون تمهيداً لإقناعهم وتسليمهم للنتائج التي يسعى إلى إثباتها, وقد كانت هذه المنطلقات مستندة على أدلّة عقليّة, وواقعيّة, ومنطقيّة.
وهذه المقدّمات الحِجاجيّة: هي مجموعة من الوقائع, والحقائق, والافتراضات, والقيم, والطرميّات, والمواضع التي تمثّل نقطة انطلاق الخطيب في استدلالاته وقد ارتكز عليها؛ لأنّها تمثّل معارف مشتركة بين أطراف الخطاب المُرسِل والمُرسَل إليه (العمري و آخرون، ٢٠١٠، صفحة ٣٠٨). فمقدّمات الحِجاج (المنطلقات والمبادئ) – بحسب «برلمان وتيتكاه» – هي:
١– الوقائع ٢– الحقائق ٣– الافتراضات ٤– القيم (العمري و آخرون، ٢٠١٠، الصفحات ٣٠٨–٣١٣).
وعليه سنتناول في بحثنا هذا إحدى هذه المقدّمات وهي «القيم», ونبيّن كيف جعلها أمير المؤمنين (عليه السلام) إحدى منطلقاته الحجاجيّة مع جمهور سامعيه, وكيف استطاع من خلالها إقناعهم ودفعهم لإنجاز وفعل ما ترتب عليه ذلك الإقناع.

– القيم:

تعدّ القيم من أهمّ المنطلقات الحجاجيّة؛ فهي – في نظر «برلمان» – لها من أثرٍ فعّالٍ في بناء الثقة بين المتحاورين؛ فقد عدّها من أهمّ القواعد الحِجاجيّة التي نستند إليها؛ لكي نحمل المخاطَب على القيام بأفعال معيّنة بدلاً من أُخرى, كما أنّنا نستدعيها؛ من أجل تسويغ تلك الأفعال بطريقة تجعل هذه الأفعال التي ندعونا إليها مقبولة ومؤيدة من طرف الآخرين, فبها نستطيع تكوين الحقيقة المطلوبة على الوجه الذي يريده المُحاجج, هذا في الوقت الذي تظل فيه هذه القيم محافظة على نصاعتها بعد الاستعمال ممّا يجعلها صالحة للاستعمال في مقّامات أُخرى. (العمري و آخرون، ٢٠١٠، الصفحات ٥٠٥–٥٠٦).
فالقيم من أهمّ عناصر الحِجاج, وإلى البحث عنها يُرجع «برلمان» الفضل أصلاً في اهتمامه بنظريّة الحِجاج؛ إذ لها دور بارز في مجالات العلوم الإنسانيّة؛ فعليها يُعتمد في تغيير مواقع السّامعين ودفعهم إلى الفعل المطلوب, وهي على نوعين: مجرّدة –كالعدل والشجاعة, ومحسوسة– كالوطن وأماكن العبادة (الأمين، ٢٠٠٨، صفحة ١١٢).
والقيم يُعوّل عليها الخطيبُ في جعل السّامع يذعن لِما يطرح عليه من قضايا وآراء (العمري و آخرون، ٢٠١٠، صفحة ٣١٠)، وتخضع هذه القيم لتراتبيّة هرميّة تمثّل احترامها ووعي المُحاجج بها عاملين فاعلين في تحقّق غايات الخطاب (الأمين، ٢٠٠٨، صفحة ١١٢)؛ إذ تسهم في ترتيبها, فكلّ شيء له درجات خاصّة به, والقيم بحسب قوّتها درجات؛ إذ تتدخل القيم أثناء محادثة ما, بين الحين والآخر, إنّها تحمل مواقفنا المواجهة للواقع, فلها حياة مكثفة وطابع واسع, يجعلها كونيّة, فهي ليست قيماً مطلقة؛ لأنّها تخضع لهرميّة ما, فالجميل درجات وكذلك النّافع, وهي نوعان: مجرّدة –مثل اعتبار العدل أفضل النّافع, ومادّيّة محسوسة– كعدّ الإنسان أعلى درجة من الحيوان, والإله أعلى درجة من الإنسان (صولة، ٢٠١١، صفحة ٢٦).
وعليه فقد قال «برلمان»: (إنّه في كلّ عمل حِجاجيّ, فإنّ تراتبيّة القيم تكون بدون شكّ أهمّ من القيَم؛ لأنّه نظر إلى التدرّج في استمالة السّامع, ونقله من القيم التي يؤمن بها إلى العمل بها, وهذا لا يكون له إلّا باتباع التراتبيّة التي تمثّل

وعي المُحاجِج فيما يسعى إليه، ومعرفته بالسّامعين، وواقع حالهم) (الزمانيّ، ٢٠١٢م، صفحة ١٢٢)، فـ«برلمان» يرى أنّ درجة التسلّيم بالقيم تختلف من جمهور لآخر، وهذا دليل على وجود درجات مختلفة للقيم، فميزة كلّ جمهور ليس قيمة التي يسلّم بها، بل قدّرته على ترتيب هذه القيم، وإنّ هذا التراتب يختلف من مجتمع إلى آخر (العمري و آخرون، ٢٠١٠، صفحة ٣١٠).

لذا فمراعاة تراتبيّة تلك القيم أمر ضروري في أيّ بناء حِجاجيّ، ولا تنبع تلك المراعاة إلاّ من تصوّر سليم من قِبل المُبدع لعلّة ذلك الترتيب، كما لا يخفى ما لهذا الإدراك من أثر، سواء عند امتداح ذلك الترتيب، أو نقده من أجل تقديم البديل، وهذا ما لم تنتبه إليه البلاغة الكلاسيكيّة، وكذا جلّ الفلاسفة المحدثين الذين اهتمّوا بالجوانب المشتركة لهذه القيم التي يشترك فيها معظم المخاطبين، وأغفلوا ما تشتمله من اختلافات وتباينات تؤثر في سياق المقامات التي قد تستعمل فيها، وتتغيّر بطبيعة المقام والمشاركين فيه (العمري و آخرون، ٢٠١٠، صفحة ٥٢٢).

– ومن القيم المجردة :

– قيمة الحقّ:

تعدّ قيمة «الحقّ» قيمة فاعلة دون أدنى شكّ ومؤثرة في السّامع أو المتلقي؛ إذ إنّ وجودها في خطاب حجاجيّ معيّن كافٍ لتنبيه وتوجيه ودفع متلقي الخطاب إلى وجهة محدّدة فيه، قد حدّد الباث أو المتكلّم طريقها بدقّة، ودفع مخاطَبيه إلى السير فيها دون سواها (الدريديّ، ٢٠١١، صفحة ٢٧٤).

وقد جاءت قيمة الحقّ في كثير من خطابات أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ ليجعلها أساسا ينطلق منها في تنبيه مخاطَبيه ودفعهم لجعلها سلوكا يتبعوه في شؤون حياتهم، ومن ذلك قوله (عليه السلام): (إنّ أفضَلَ النّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْ كانَ العَمَلُ بِالحَقِّ أحَبَّ إلَيهِ، وإنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ، مِنَ الباطِلِ، وإنْ جَرّ إلَيْهِ وَزادَهُ) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٢٦٢/٨).

فالإمام يجعل ميزان المفاضلة بين الناس عند الله هو العمل بالحقّ، وليس ذلك فحسب بل جعل شرط ذلك أن يكون عمله بالحقّ أحبّ إليه حتى لو اشتدت به المشقّة والنقص، وآثر الحقّ على الباطل وإن انتفع به وأورثه الزيادة (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٢٦٤/٨). فالخطاب الحجاجيّ يتّخذ من القيم الكونية كالحقّ والعدل، ويجعلها مرجعا وخلفية يستند عليها المُحاجِج في قوله، ويؤسّس عليها موقفه أو الرأي الذي يروم إثباته (الدريديّ، ٢٠١١، صفحة ٢٧١).

– قيمة الشّرّ وقيمة الخير:

وهما من القيم الكونيّة المجردة ذات الطابع الإنسانيّ، ويمثّلان قيماً مطلقة لا تتقيد بمكان وزمان معيّن؛ فالخير والشّرّ من القضايا المعروفة والمُشترك في مختلف المجتمعات، وتحدّثت عنها الديانات السماويّة جميعا؛ لكونها من أساس سلوكيات الناس جميعاً، فكلّ أفعال الناس لابدّ لها من دافع وهذا الدافع قد يكون خيراً أو شراً بحسب أخلاقيات الناس؛ ولذا أكدّ عليها القرآن الكريم، وترسّخت أيضاً في خطب النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وكذلك في خطاب أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، ومنها قوله (عليه السلام): (إذا تَحرّكت صورة الشّرّ ولم تظهر ولّدت الفَزَع، فإذا ظهرت ولّدت الألَم، وإذا تَحرّكت صورة الخير ولم تظهر وَلّدت الفرح، فإذا ظهرت وَلّدت اللّذة) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٤٠٩/٢٠).

الإمام عليّ(عليه السلام)، في دعواه إلى ترك الشّرّ، يدرج حجّة ذلك بذكر ما يترك الشرّ من أثر، فأيّ عمل دافعه الشرّ فهو يحدث الفزع في نفوس الناس قبل أن يقع، وعند وقوعه وتحقّقه يُحدث الألم والمعاناة في من وقع عليهم ذلك الشرّ، وحتّى يدفع الإمام مخاطبيه إلى ترك الافعال التي سببها الشرّ، يدرج ما تكون نهاية أو نتيجة هذا الشرّ، فتكون هذه الأسباب أو الحجج كفيلة بتوجيه سلوك الإنسان وتخليه عن أفعال الشرّ. ثمّ ينطلق من قيمة الخير وما لها من الآثار الإيجابية لو كانت هي غاية الإنسان في فعله وسلوكه، فما إنّ تحرّكت نية الخير ظهرت آثارها في النفوس بشارة بالفرج الذي يسعد كلّ من يُبشّر به، وما إن تحقّق وقوع فعل الخير ظهرت سعادة الناس وسادت فرحتهم وعمّت. وهذه الأسباب حجّج كافية ومؤثرة في النفس حتّى تدفعها لفعل الخير في كلّ زمان ومكان، والابتعاد عن فعل الشّرّ.

– قيمة الظلم:

وهي من القيم المذمومة عند المجتمعات جميعا, وحاربتها الأديان السماويّة ودعت إلى دحرها, لكنّها للأسف ما زالت تسود بعض المجتمعات, وتبطش بالناس. ومنها ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام): (بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ, الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ) (لابن أبي الحديد, ٢٠٠٧, صفحة ٢٣/١٩).

فالإمام انطلق من النتيجة التي تحدثها قيمة الظلم: فظلم العباد, سيكون أسوأ عملٍ يأخذه معه الإنسان إلى دار الآخرة. فالخطاب هنا موّجه إلى جمهور خاص وليس كونيا, وهو جمهور المسلمين, الذين يؤمنون بالحياة بعد الموت, وأن هنالك حياة يحاسب بها الإنسان على ما فعله في دنياه, وتكون أعماله في الدنيا هي زاده الذي يأخذه معه إلى حياة الآخرة. فكيف إذا كان ذلك الزاد فاسدا ومهلكا يؤدي به إلى العذاب؟! فهذه الحجّة أو السبب حجّة مؤثرة بما تحمله من قوّة إقناعيّة في دفع السامع إلى ترك الظلم, والتحلّي بالعمل الذي يكون خير زادٍ للحياة الآخرة, وهو العدل والإنصاف في التعامل مع الناس جميعا.

- قيمة التفكّر والتدبر:

تعدّ من أهمّ القيم التي انطلق منها أمير المؤمنين وأكّد عليها, وهي من القيم التي ركّز عليها الخطاب القرآنيّ في أغلب سوره, فقد كان يحثّ على التفكّر والتدبّر واستعمال العقل فيما يطرح عليه من دلائل وقضايا تخصّ الحياة والعقيدة متمثّلة بقوله تعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ) (محمد – ٢٤) , وكذلك قوله تعالى : (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) (يس – ٦٨) وأيضا قوله تعالى: (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) (سورة الأنعام – ٥٠).

وعليه فإنّ أمير المؤمنين اتّخذ من التفكّر والتدبّر قيمة عليا ينطلق منها في خطابه؛ إذ قال (عليه السلام) لرجل سمعهُ يذّمّ الدُّنيا: (أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنيا, الْمُغتَرُّ بِغُرُورِها, الْمُنخدِع بِأباطِيلِها, أَتَغتَنِّ بِها ثُمَّ تَذُمُّها؟! أَنتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيها أَم هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيكَ؟! مَتَى استَهوَتكَ؟ أَم مَتَى غَرَّتكَ؟! أَبِمَصَارِعِ آبائِكَ مِنَ الْبِلَى؟ أَم بِمَضَاجِعِ أُمَّهاتِكَ تَحتَ الثَّرى؟! كَم عَلَّلتَ بِكَفَّيكَ, وَكَم مَرَّضتَ بِيَدَيكَ؟, تَبغِي لَهُمُ الشِّفاء, وَتَستوصِفُ لَهُمُ الأَطِبَّاء, غَداةَ لا يُغنِي عَنهُم دَواؤُكَ, وَلا يُجدِي عَلَيهِم بُكاؤُكَ! لَم يَنفَع أَحَدَهُم إِشفاقُكَ, وَلَم تَسعَف فِيهِ بِطِلبَتِكَ, وَلَم تَدفَع عَنهُم بِقُوَّتِكَ, قَد مَثَّلَت لَكَ بِهِ الدُّنيا نَفسَكَ, وَبِمَصرَعِهِ مَصرَعَكَ. إِنَّ الدُّنيَا دَارُ صِدقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا, وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا, وَدَارُ غَنَاءٍ لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا, وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا, قَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا, فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلَائِهَا الْبَلَاءَ وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ, رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ وَابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ تَرْغِيباً وَتَرْهِيباً وَتَخْوِيفاً وَتَحْذِيراً, فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ وَحَمِدَهَا آخَرُونَ, ذَكَّرَتْهُمْ فَذَكَرُوا وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا وَوَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا) (لابن أبي الحديد, ٢٠٠٧, صفحة ٣٦٦/١٨) و (الواسطيّ, ١٤١٨هـ, صفحة ١٤٤). فهو هنا ردّ على رجل ذمّ الدنيا دون معرفة بها, فردّ الإمام (عليه السلام) عليه وجعل القيمة الحجّيّة للتعقّل والتفكّر والتدبّر منطلقاً في ردّه عليه؛ إذ يعتمد المُحاجج في حجاجه قيماً يختارها بحكمة بالغة؛ حتى تتناسب مع غايات خطابه وأهدافه الحجاجيّة التي يروم الوصول إليها (الدريدي, ٢٠١١, صفحة ٢٧٠).

وهذا الرد أغلبه جاء بصيغة الاستفهام؛ إذ هو من أهمّ أساليب الحجاج في التوجيه التي يستعملها المُخاطِب للسيطرة على ذهن المُخاطَب, فتُسيّر الخطاب تجاه ما يريده المتكلّم (حكيمة, ٢٠٠٨, صفحة ١٤).

فالسؤال من المتكلّم يقتضي جواباً, فكيف إذا كان الجواب من الحقائق الراسخة والمسلّم بها من قِبل السامع, والسؤال هنا جعلها ماثلة حاضرة في فكر السامع, وهي جميعها توصله لما يريده الإمام (عليه السلام) من إدراك وتوجيه لمخاطبيه, فالاستفهام في ردّ الإمام (عليه السلام) كان استفهاما حجاجيّا؛ لغرض تقرير من وجّه إليه الخطاب, وفي الوقت نفسه هو إثبات لحقيقة الدنيا وصدقها وبراءتها ممّا اتّهموها به؛ وعليه فإنّ الاستفهام جميعه هنا كان استفهاماً حجاجيّاً بالأساس؛ لأنّه جاء محاكاة للواقع وتقريراً لحقائق ثابتة وانطلاقاً منها, فالسؤال يحدث تفاعلاً قويّاً بين المتخاطبين.

وبما أنّ الحجاج أصل في كلّ تفاعل (عبد الرحمن, ١٩٩٨, صفحة ٢٢٩), فقد تمثّل ذلك بقول عليّ (عليه السلام): (مَتَى استَهوَتكَ؟ أَم مَتَى غَرَّتكَ؟! أَبِمَصَارِعِ آبائِكَ مِنَ الْبِلَى؟ أَم بِمَضَاجِعِ أُمَّهاتِكَ تَحتَ الثَّرى؟! كَم عَلَّلتَ بِكَفَّيكَ, وَكَم مَرَّضتَ بِيَدَيكَ؟, تَبغِي لَهُمُ الشِّفاء, وَتَستوصِفُ لَهُمُ الأَطِبَّاء, غَداةَ لا يُغنِي عَنهُم دَواؤُكَ, وَلا يُجدِي عَلَيهِم بُكاؤُكَ! لَم يَنفَع أَحَدَهُم إِشفاقُكَ, وَلَم تَسعَف فِيهِ بِطِلبَتِكَ, وَلَم تَدفَع عَنهُم بِقُوَّتِكَ, قَد مَثَّلَت لَكَ بِهِ الدُّنيا نَفسَكَ, وَبِمَصرَعِهِ مَصرَعَكَ)

(لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٣٦٦/١٨). فالإمام عليّ (عليه السلام) في خطابه الاستفهامي هذا استند إلى المنطق؛ ليحاكي عقول مخاطبيه, وليستدل منه بالاستدلال الصحيح, فالمنطق يكشف عن طرائق الاستدلال الصحيح, ويُبيّن مكامن الخلل في الاستدلال الفاسد, والاستدلال الصحيح الذي يكون فيه الارتباط بين المقدّمات والنتيجة مطبوعاً بخاصيّة الضرورة, حيث لا يمكن أن تكون النتيجة كاذبة إذا كانت المقدّمات صادقة والاستدلال صحيحاً (النقاريّ و آخرون، ٢٠٠٦، صفحة ٢٤).

وعليه فهذا الخطاب خطاب منطقيّ حجاجيّ تفاعليّ تضمّن حقائق واقعة في حياة الناس جميعاً, انطلق منها الإمام (عليه السلام) في كلامه؛ ليُنبّه ويذكّر الإنسان بحقيقة الدنيا ومعرفتها؛ حتى يدرك السبيل في العيش فيها بطريقة أو منهاج لحياته يجعله يفوز في الدارين «دار الدنيا ودار الآخرة»؛ فيأخذ من دنياه ما يضفي على نفسه من السعادة والطمأنينة التي يصاحبها راحة الضمير؛ إذ عرف ما له وما عليه في هذه الدنيا, فنحن حتى ندرك الغايات أو ما يسمى بالمقصد الحجاجيّ أو النتيجة المرجوة من هذه الأقوال وجب الانتباه إلى السياق الذي وردت فيه والمناسبة التي صدر فيها؛ كي ندرك مدى فاعليتها وقوّتها الحجاجيّة حين قيلت تلك الأقوال, ومدى تأثيرها على السامع في ذلك الوقت. فهذا يوصلنا لنتيجة ما, بخلاف ما لو بحثنا عن حجاجيّة تلك الأقوال منفصلة عن السياق الذي جاءت فيه والمناسبة التي قيلت لأجلها, فيجعل منها خطابا كونياً أي: ليس لمستمع معيّن, بل يكون خطاباً ذا بعد إنساني آخر وهي نتيجة أخرى أكثر عمقاً وبعداً فكرياً وروحيًا؛ لأنّها تتضمّن معنى آخر للحياة يتأمل فيه السّامع محاولاً فهم واقعه وأسلوب حياته في ضوء ذلك المفهوم المضمر في القول المتماثل مع ما يختلج بداخله وهذا هو ما يجعل القول أو الخطاب خطابا حجاجيًا؛ إذ تحقّقت فيه الغاية المقصودة وهي التنبيه والتوجيه والدفع إلى إنجاز فعل معيّن تجاه الحياة.

– قيمة حُسن الخلق:

وهي من القيم الإنسانيّة الكونيّة المطلقة؛ إذ بحسن الخلق ترتقي المجتمعات, ويعمّ السلام والأمان والسعادة, وإليها دعت الأديان السماويّة جميعا. وشغلت حيزاً كبيراً في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام), ومنها قوله: (مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ١٩/١٩). فالإمام (عليه السلام) يؤكّد على قيمة حُسن الخلق, ويجعلها سبباً لكثرة المحبين والأعوان, وكأنّه يقول: من أراد أن يكثُر محبّوه وأعوانه من الأهل والناس جميعا؛ فليُحسن خلقه معهم, فذلك مدعاة لتحقّق المحبّة والعون منهم. فحُسن الخلق بلا شكّ من أهمّ القيم الإنسانيّة في أيّ مجتمع على اختلاف دياناتهم وثقافاتهم. فهي سلوك إنسانيّ مجرد عن أي معتقد دينيّ أو طائفة معيّنة من الناس, بل هي فعل إنسانيّ مطلق, يأخذ بالإنسان إلى العيش بسلام ومحبة.

ومن القيم المجردة الأخرى :

– قيمة العلم:

إنّ الانطلاق من حجيّة قيمة العِلم المشتركة بين الناس تعدّ أسلوباً في الحجاج, وركيزة مهمة من ركائزه؛ إذ بها يتمكّن المُحاجج من إقناع الطرف الآخر, أو يحمله على التسليم بالقضية أو الدعوى التي يريد إثباتها في خطابه (الدريديّ، ٢٠١١، صفحة ٢٨٧).

وقيمة العِلمُ من أسمى القيم التي تتشرّف وتتباهى بها المجتمعات جميعاً على اختلاف لغاتها وأديانها واهتماماتها؛ إذ به تتطوّر البلدان وترتقي وتعيش الحياة الكريمة, فبالعلم يخلّد العالم ويبقى علمه حيّاً تنتفع به الأجيال من بعده, فبه يحظى الإنسان بمكانة مرموقة في المجتمع؛ لذا ركزّ أمير المؤمنين في كثير من خطاباته على طلب العلم والعمل به, فمن ادّعى بأنّه عالم, لكنّه لم يعمل بعلمه فهو جاهل. ومنه ما قاله (عليه السلام): (العِلْمُ مَقرونٌ بِالعَمَلِ, فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ, والعِلْمُ يَهتِفُ بِالعَمَلِ, فَإنْ أَجَابَ وَإلاَّ ارتَحَلَ عَنْهُ) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ١٥٣/١٩).

فالإمام عليّ (عليه السلام) انطلق بقوله هذا من قيمة العلم وهي من القيم الراسخة والغاية المبتغاة التي يسعى كلّ ذي عقل إلى أنّ يكون له منها نصيب, لكنّه جعلها مقرونة بالعمل بما تتعلمه, فجعل العمل بما يتعلّمه الإنسان سبباً أو حجّة ليصل إلى النتيجة المبتغاة وهي أن يكون عالما, ثمّ أدرج حججا تقوّي هذه الدعوى, بأنّ هتاف العلم هو العمل به,

وإنّ لم يجبه فإنّه يرتحل عنه, وهذه الحجّة تسلب من العالِم أن يكون عالِماً, بل تضعه في مكانة الجهل, وهي قيمة مذمومة لدى الناس جميعاً؛ إذ لا يرتضي أحد أن يكون جاهلاً, فهذه القيمة بحد ذاتها هي داعية لكلّ ذي عقل إلى أن يعمل أيّ شيء حتّى لا يرتحل عنه العلم ويصبح مذموماً؛ لذا فهي كفيلة بأنّ توجهه وتدفعه للعمل بما تعلّمه من علوم ومعارف يفيد بها نفسه ويفيد مجتمعه.

– قيمة الذّل:

وهي من القيم الإنسانيّة المجردة المذمومة, اتّخذها أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) منطلقا في خطابه لجمهور مخاطبيه, فقال (عليه السلام): (الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الذُّلِّ) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٢٨/١٩).

فالإمام (عليه السلام) اتّخذ من قيمة الذّلّ منطلقاً؛ يدحر ويهدم به قيمة الطمع, فجعل الطمع سبباً لذّلّ الإنسان في المجتمع. ولا يخفى على الناس جميعا الأثر النفسيّ السيء لشعور الذّلّ؛ إذ يجعل الإنسان مهانا ومنبوذا في مجتمعه, وهذا بدوره يدفعه عن فعل ما يكون سبباً لذلك الذل؛ لذا يدرج الإمام (عليه السلام) السبب أو الحجّة التي أدّت بالإنسان إلى تلك النتيجة المؤلمة, ألا وهي نزعة الطمع الذي يعتريه, فيكون سبباً لذّله بين الناس. فيكون الأثر الحجاجيّ قوياً جداً لهذه القيمة «الذّلّ»؛ وتوجّه الإنسان إلى ترك ما يجعله يتحلّى بتلك القيمة وهو الطمع فيما عند غيره.

– قيمة العدل:

يعدّ العدل من القيم المجردة والراسخة في المجتمعات جميعاً, وقد نادت بها الأديان السماويّة أيضاً, وقد انطلق منها أمير المؤمنين (عليه السلام) في أغلب خطاباته, ومنها قوله (عليه السلام): (مَن عمِلَ بالعدل فيمَنْ دُونه, رُزِق العدل ممَّن فوقه) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٤٢٦/٢٠).

فالإمام (عليه السلام) هنا يؤكّد وينبّه مخاطبيه إلى أهمية العدل في التعامل مع الناس, فيجعل أساس هذا التعامل هو العدل والإنصاف فيمن يتولونهم من الناس, أو من لهم سلطة عليهم, والابتعاد عن ظلمهم, ويجعل ذلك سبباً ليعامله بالعدل من هو أعلى منه سلطة وقوّة ونفوذاً. فيكون عدله في تعامله مع من دونه حجّة أو سبباً أوصلته لنتيجة يريدها ويطمح لها كلّ ذي عقل, وهي أن يعامله بالعدل من هو أعلى منه في المسؤولية والسلطة, وهذا العدل الذي يقصده الإمام عليّ (عليه السلام) عدل سيجده في الدنيا والآخرة كذلك.

– قيمة الأمان:

انطلق الإمام عليّ(عليه السلام) من قيمة الأمان؛ لما لها من الأثر النفسيّ والغاية المقصودة لكلّ مخلوق وليس الإنسان فحسب, فكيف إذا كان الأمان للدنيا والآخرة, وهو من القيم الراسخة عند الناس جميعاً؛ فجعلها منطلقاً لدعواه التي يريد أن يحثّ الناس عليها, وهي تمثّل قيمة من القيم الدينيّة التي حثت عليها الأديان السماويّة جميعاً, وهي قيمة «الاستغفار» أي: التوبة والرجوع إلى الله تعالى لتكون سبباً للنتيجة التي يسعون لها ويتمنونها وهي «الأمان», فقال (عليه السلام): (كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رُفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به, أمّا الأمان الذي رُفع فرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم), وأمّا الأمان الباقي فالاستغفار, قال الله تعالى: ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)) الأنفال آية:٣٣ (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٣١٩/١٨).

وبما أنّه للقيم أهمية كبرى في قبول الدعوى أو رفضها؛ وذلك بحسب ما تحمله من قيمة معيّنة يحقّ للمخاطب الاعتراض عليها أو رفضها (عبد الرحمن، ١٩٩٨، صفحة ٢٣١)؛ لذا استند الإمام عليّ (عليه السلام) في تثبيت قيمة الاستغفار إلى نص صريح من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل أبداً, وهو من مسلّمات مخاطبيه وعقيدتهم التي يؤمنون بها؛ ممّا أكسب الأمر المتمثّل بقيمة الاستغفار والحثّ عليه, الذي يؤدي إلى قوّة إنجازيّة للتوبة والرجوع إلى الله تعالى, وأكسبه أهميّة كبرى.

– القيم المحسوسة:

وهي قيم من السهل ملاحظتها, والتأكد من تحقّقها في واقعنا, وطريقة تطبيقها, فهي قيم من شأنها أن تقيّد سلوك الإنسان وتوجّهه إلى فعلٍ معيّن (الدريدي، ٢٠١١، صفحة ٢٧٨). ومن هذه القيم التي وردت في النهج نجد:

– قيمة الكَرَم:

يعدّ الكرم من القيم الإنسانيّة المحمودة في المجتمع, وهي قيمة كونيّة مطلقة؛ لكونها تسمو بصاحبها, وتجعله في منازل الشرف والرفعة في مجتمعه. وقد حثّ عليها الدين الإسلاميّ, وأكّد عليها أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) في خطابات كثيرة منها: قوله (عليه السلام): (الحياءُ تمام الكَرَم) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٢٥/١٩).

وبما أنّ القيم درجات بحسب قوّتها الإقناعيّة التأثيريّة؛ فهي تخضع لترابيّة قيميّة هرميّة, ويكون وعي المخاطِب أو المتكلّم بها وبترتيبها واحترامها من العوامل المهمة في تحقّق هدف الخطاب وغايته (الأمين، ٢٠٠٨، صفحة ١١٢)؛ لذا فوعي الإمام عليّ (عليه السلام) بالأثر الحجاجيّ لقيمة الكرم في نفوس وعقول مخاطَبيه, ولكونها أعلى درجات الشرف والرفعة عندهم, جعله ينطلق منها لتكون دافعا يجعلهم يدعنون لِما ينبع منها وينتمي إليها, وهي صفة «الحياء»؛ إذ جعلها الإمام تمام الكرم, أيّ: أعلى منازله ومنتهى كماله, وبهذا يكون الأثر البالغ لقيمة الكرم موجّها قويّا ودافعاً مُلزماً باتخاذ الحياء سلوكاً راسخاً في أفعال مخاطَبيه.

– قيمة العفو:

وهي من القيم الدينيّة التي حثّ عليها الإسلام, وقد اتّخذها أمير المؤمنين (عليه السلام) منطلقاً لدعواه للناس بالعفو؛ للتأكيد عليها وتوجيه الناس للعمل بها, فقال (عليه السلام) في خطاب له: (يُنادِي مُنادٍ يوم القيامة: من كان لهُ أجرٌ على الله فليقُم, فيَقوم العافون عن الناس), ثمّ تلا (عليه السلام) : (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ) الشورى آية: ٤٠) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٤٢٦/٢٠). فالإمام (عليه السلام) يستدعي قيمة العفو لتكون حاضرة في أذهان ونفوس مخاطَبيه؛ ليوجّه سلوكهم تجاهها ويقرّر فعلهم لها.

فالإمام (عليه السلام) في قوله هذا لم يأتِ بشيء غير مألوف على أسماع مخاطَبيه, بل هو من صلب عقيدتهم ودينهم الذي يؤمنون به, فقيمة العفو من القيم الدينية التي حثّ عليها الدين الإسلامي فلا سبيل لنكرانها, وعلى الرغم من ذلك فالإمام أكّد دعواه باستشهاده بنص قرآنيّ يثبت وينبّه على ما لقيمة العفو من الأثر البالغ عند الله .

– قيمة الزهد:

ومنها في قوله (عليه السلام): (الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن, قال الله سبحانه: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ (سورة الحديد, آية: ٢٣), ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي, فقد أخذ الزهد بطرفيه) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٢٩٤/٢٠) .

فالإمام (عليه السلام) في تعريفه للزهد يضع للإنسان نظام حياة في تعامله مع الواقع, فهو يحثّه على موازنة نفسه من الداخل حيث لا تجنح إلى اليأس, فيما لو خسرت أو منيت بالفشل وحينها تصاب بالإحباط والاستسلام, وفي الآن نفسه يحثّها على أن لا تتمادى في البهجة والسرور, فيما لو حصلت على نجاح ما, فيدفعها ذلك إلى الغرور, ومن ثمّ تنسى في خضم سرورها متابعة الطريق الذي يسّره الله لها مكتفية بما وصلت إليه. فالنجاح والإخفاق أمران محتملان في واقع حياة كلّ إنسان؛ لذا وجب عليه في هذه الحال أن يكون واقعياً في تعامله مع الحياة دون إفراط أو تفريط, وإن استطاع إحداث هذه الموازنة في تعامله, فقد تمكّن من الأخذ بطرفي الزهد (العريض، ٢٠١٨، صفحة ٦١٢).

فالإمام (عليه السلام) حتى يدعم قيمة الزهد التي يروم إقناع السامع بها استشهد بالقرآن الكريم؛ ليُكسب قوله قوّة حجاجيّة بالغة التأثير في مخاطَبيه, فجاء بقوله تعالى: (لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) (سورة الحديد, آية: ٢٣). فالاستشهاد بالقرآن الكريم يُعدّ طريقةً في الحجاج لا نقاش فيها, فهو أحد استعمالات النص القرآنيّ للاستئناس من أجل خلق جو دينيّ الذي غالباً ما يُستعان به في الخطب الدينيّة, والمناسبات الاجتماعيّة (العمريّ، ٢٠٠٢، الصفحات ٩٣–٩٤), وقيمته الحجاجيّة كامنة في تدعيم الدعوى التي يريد ترسيخها الإمام (عليه السلام) في نفوس سامعيه؛ لكون القرآن الكريم دستور المسلمين ودليلهم الأول في أمور دينهم ودنياهم, فلا مجال للشكّ فيه.

– قيمة الكِبر (الفخر):

قيمة الكِبر أو الفخر من القيم المذمومة في المجتمع, لكنّها سائدة عند بعضهم؛ لذا كان الإمام عليّ (عليه السلام) في خطاباته يدعو لهدم هذه القيمة في نفوس وعقول سامعيه, ومن ذلك قوله (عليه السلام): (ما لابنِ آدمَ والفَخر! أوّلُهُ

نُطْفَةٌ, وآخِرهُ جِيفَةٌ. لا يَرْزُقُ نَفْسَهُ, وَلا يَدْفَعُ حَتْفَهُ) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٢٠/٣٣٠).

وبما أنّ قوة الخطاب الحِجاجيّ تتأتى من فرضه على المخاطَب أو السّامع نوعاً معيّناً من النتائج التي يقرّها, بوصفها الاتجاه الوحيد الذي يسير فيه الخطاب (الدريدي، ٢٠١١، صفحة ٢٣)؛ ابتدأ خطابه (عليه السلام) متسائلا؛ إذ السؤال هو أصل المعرفة وبابها, فله الأثرُ البالغ في العملية الحجاجيّة؛ لِما يُحدثه من توجيه المتلقّي إلى الاستدلال بنفسه المتمثّل بالجواب الكامن في نفسه؛ إذ يُشركه بحكم قوّته وخصائصه التي تخدم مقاصد الخطاب؛ لذا انطلق الإمام (عليه السلام) متسائلاً متعجباً, كيف للإنسان أن يُعتريه الكِبرُ والفخر, وهو يدرك حقيقة نفسه, فيدرج الإمام (عليه السلام) حججًا أو أسباباً تعلّل استغرابه وإنكاره على كِبر بني آدم؛ إذ أوّله نطفة لجسة, وآخره جيفة نتنة, أي: عند موته, وهو في حياته ليس برازق نفسه؛ بل الرازق هو الله, وكذلك يدرج حجّة أقوى ودليلاً لا مجال لنكرانه أبداً, وهو عدم قدرة الإنسان على دفع الموت عن نفسه, فهذه الحجج أو الحقائق الحتمية الثابتة عند الناس جميعاً, فكيف وهم يدركونها ومع ذلك يسيطر عليهم الفخر والكِبر على بعضهم. ففخر الإنسان مع معرفته بحقيقته, وعلمه بحقائق خارجة عن قدرته, فهذا بحد ذاته قمّة الحمق والغباء لِمن نظر بعين عقله وتفكّر بلُبه, وانحسر عنه قناع جهله (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٢٠/٣٣١), فيبصر الحقيقة, ويدفعه ذلك لِعمل ما يجب عليه. فالمُحاجِج يعتمد في حجاجه قيماً يختارها بحكمة بالغة؛ حتى تتناسب مع غايات خطابه وأهدافه الحجاجيّة التي يروم الوصول إليها (الدريدي، ٢٠١١، صفحة ٢٧٠)؛ وحتى يسوّغ الإمام عليّ (عليه السلام) رفضه لقيمة «الكِبر»؛ لكونها تتعارض مع قيمة «التواضع» التي يدعو الناس إليها, فالإمام (عليه السلام) أراد أن يهدم هذه القيمة التي هي من أهمّ قيم ونعرات الجاهلية التي ما زالت باقية في نفوس بعض البشر؛ لذا أراد الإمام (عليه السلام) تنبيه الإنسان وتذكيره بحقيقة تكوّنه في الدنيا؛ لكي يدرك أنّه عاجز محتاج, وهذا ينافي الكِبر الذي يعتريه, وبذلك فهو يدعوه في الآن نفسه ويوجهه إلى التحلّي بالتواضع؛ ليكون سجيّة في نفسه وفكره وسلوكا يتبعه في حياته. فالإمام (عليه السلام) بقوله هذا قد حثّ سامعيه على هدم قيمة الكِبر وهي من قيم الجاهليّة, وبناء قيمة التواضع وهي من أهمّ القيم التي نادى بها الدين الإسلاميّ؛ لِما لها من أثر نفسيّ واجتماعيّ يصلح سلوك المجتمع.

– قيمة الهزيمة:

وهي من القيم الإنسانيّة التي تبغضها النفس ولا تريد الوقوع فيها, وقد اتّخذها الإمام عليّ(عليه السلام) منطلقا في خطابه؛ لِما لها من أثر في النفس, تجعل الإنسان يفعل كلّ ما بوسعه حتى لا تدركه الهزيمة وتتحقّق في حياته. فحين استولى جيش الشام على شريعة الماء في بدايات حرب صفين وشاهد (عليه السلام) ما لحق بجيشه من هزيمة قد تؤدي به إلى التشتت والنكوص, بادر جنده بقوله (عليه السلام): (قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ, فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ, حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٣/١٥٣).

إنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) ألقى هذه الخطبة في ظل تلك الظروف العصيبة التي ألمت بصحبه. وقد اختار الإمام (عليه السلام)– الذي يمثّل مصدر البلاغة والفصاحة– هذه العبارات الحماسيّة من أجل تحقّق الهدف المنشود الذي جعل أصحابه يهبّون مسرعين لطرد عتاة الشام ومردتها عن شريعة الفرات (الشيرازيّ, صفحة ٢/٣٦٥). فما تحمله قيمة الهزيمة من قوّة حجاجيّة؛ حيث تأبى كلّ نفس أن تُهزم فما بالكم بهزيمة الشجعان! ثمّ يواصل الإمام عليّ (عليه السلام) خطبته بأنّ ليس أمامكم سوى سبيلين لا ثالث لهما تجاه خسة هذا العمل الذي ارتكبه أهل الشام؛ فإمّا السلة وإمّا الذلة (فأقروا على مذلة وتأخير محلة, أو رووا السيوف من الدماء تروا من الماء). أجل لم يكن لهم من سبيل ثالث، فلو وهنوا أمام العدو وغلب عليهم العطش بحيث أمات رهطاً من جندهم لكان ذلك وصمة عار في جبينهم ولفقدوا مكانتهم ومنزلتهم لدى العدو والصديق, إلّا أنّهم حين نهضوا بالأمر وحملوا على العدو قد حظوا بمكانتهم ومنزلتهم لدى العدو والصديق, كما كشفوا عن مروءتهم وعظمة خلقهم حين لبّوا طلب مولاهم بالإبقاء على شريعة الماء مفتوحة بوجه جيش الشام؛ الأمر الذي جعل جيش معاوية يشعر بخسة عمله, وهذا ما أدّى بدوره إلى ارتفاع معنويات أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وضعف روحية جيش الشام في معركة صفين ولا سيما في أوائل تلك المعركة حين شهدت هذه الواقعة

(الشيرازيّ، صفحة ٣٦٦).

ثمّ يشير الإمام عليّ (عليه السلام) إلى مفهوم كلّيّ ودائميّ على أنّه السّر في انتصار وعزّة ورفعة كلّ أمّة، فيخاطب جنده قائلاً: (فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ١٥٣/٣). نعم فليس للحياة المادية قيمة في نفوس الناس الصالحين، كما لا يعدّ الموت منافيا لهذه القيمة، بل القيمة في نظر الأحرار إنّما تكمن في الحياة التي تسودها العزّة والكرامة؛ لذا تراهم يؤثرون الموت بعزّة على الحياة بذلّة. وهذا هو السرّ في انتصار الفئة الإسلاميّة القليلة في عصر النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)– والعصور اللاحقة– على الفئة الضالة الكثيرة العدد والعُدّة. فالعزّة في المجتمع الإسلاميّ تؤثر على كلّ ما سواها، ولا يتوانى مثل هذا المجتمع عن التضحية بالغالي والنفيس من أجل تحقّقها (الشيرازيّ، صفحة ٣٦٦/٢).

وبذلك استطاع أمير المؤمنين بما تحمله الهزيمة من شعور تأباه النفوس فكيف بنفس الجندي ومصيره في ميدان القتال، فهي أمّا أن يكون أو لا يكون، ممّا يحتم عليه المواصلة حتى النهاية في معركته مع العدو بغض النظر عن القيمة الدينيّة أو الماديّة للجهاد؛ لذا كانت الاستجابة للكلمة في مثل هذه المواقف المصيريّة سريعة لا تحتاج إلى تفكير وتأمل من قبل السّامع؛ إذ سرعان ما نظم جُنده صفوفهم واستعادوا رباطة جأشهم؛ إذ تمثّل مصيرهم أمام عينيهم فيما لو حاقت بهم الهزيمة، فكان ذلك دافعاً قوياً دفعهم لاستعادة مواقعهم على شريعة ماء الفرات بعد المعركة الحامية الوطيس التي ألحقوا فيها جيش العدو هزيمة نكراء (العريض، ٢٠١٨، صفحة ٦٤٨).

– قيمة التقوى:

تعدّ من أهمّ القيم الدينيّة التي حثّت عليها الأديان السماويّة جميعاً، وقد اتّخذها أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) مرتكزاً مهماً يدعو الناس له، وسخّر لذلك حُججاً بالغة الأثر لتحقيقها واستمالة سامعيه، فقال (عليه السلام): (فاتّقوا الله الذي أنتم بعينه، ونواصيكُم بيده، وتقلّبُكم في قبضته؛ إن أسررتم عَلِمهُ، وإن أعلنتُم كَتَبهُ، قد وكّلَ بذلك حَفظةً كِراماً، لا يُسقطون حقّاً، ولا يُثبتونَ باطلاً. واعلموا أنّه من يتّقِ الله يجعل له مخرجاً من الفِتن، ونوراً من الظُّلَم، ويُخلّدهُ فيما اشتهت نفسه، ويُنزله منزل الكرامة عِنده، في دار صنعها لنفسه، ظلُّها عرشهُ، ونُورها بهجتهُ، وزوّارُها ملائكتهُ، ورفقاؤها رُسُلهُ) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٢٩٠/١٠).

ابتدأ الإمام عليّ (عليه السلام) خطابه بالغاية التي يريدها وهي تقوى الله، ولتحقّق ذلك اتبعها بالحجج أو الأدلّة التي تدعمها وتحثّهم على فعلها، وهي حقائق ثابتة لا مجال للشّك فيها أو نكرانها فقوله (عليه السلام): (اتّقوا الله الذي أنتم بعينه، ونواصيكُم بيَده) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٢٩٠/١٠). فهاتان الحجّتان حقيقتان ثابتتان لا ينكرهما عقل بحقّ الله تعالى؛ وهي حقائق مقرّة من قبل سامعيه؛ ولذا جاء بهما الإمام (عليه السلام) بصيغة جمل إسميّة؛ لما لها من تأثير قوّي في ترسيخها في أذهان مخاطبيه؛ إذ بالاسم يثبت المعنى من غير أن يقتضي تجدّده شيئاً بعد شيء (الجرجانيّ، ٢٠٠٤، صفحة ١٧٤)؛ لذا كانت الجملة الإسميّة أعمّ وأشمل وأثبت من الفعل في التعبير عن الحقائق الثابتة (عكاشة، ٢٠١٤، صفحة ٢٨٨).

ثمّ أعقبها بحجج جاءت بجمل فعليّة لِما لها من التجدّد والاستمرار، وكأنّها حاضرة أمام عيونهم بقوله (عليه السلام): (وتَقلّبُكم في قبضته؛ إن أسررتُم عَلِمهُ، وإن أعلنتُم كَتَبهُ، قد وكّلَ بذلك حَفظةً كِراماً، لا يُسقطون حقّاً، ولا يُثبتونَ باطلاً) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٢٩٠/١٠).

ثمّ أردف قوله (عليه السلام) بالنتيجة التي يحصلون عليها نتيجة تقّواهم؛ إذ قال (عليه السلام): (وأعلموا أنّه من يتّقِ الله يجعل له مخرجاً من الفِتن، ونوراً من الظُّلَم، ويُخلّدهُ فيما اشتهت نفسه، ويُنزله منزل الكرامة عِنده، في دار صنعها لنفسه، ظلُّها عرشهُ، ونُورها بهجتهُ، وزوّارُها ملائكتهُ، ورفقاؤها رُسُلهُ)، فهذه الغايات العظيمة والمفازات التي يسعى لها كلّ ذي عقل وقلب سليم؛ إذ لا ينالها إلا ذو حظ عظيم؛ فمن لا يريد المخرج من فتن الدنيا، والنور في الظلم، والخلود فيما تشتهي نفسه من نعيم الجنان، والنزول عند الله في منزل الكرامة وفي دار صنعها لنفسه ظلها عرش الرحمن، ونورها بهجته، ويكون زواره ملائكة الله، والرسل رفقاؤه! فما أروعها وأعظمها من حجج بالغة الأثر تدفع الإنسان بكلّ قوى نفسه وعقله وجسده لينالها؟!.

– قيمة الصَدَقة:

تعدّ قيمة الصدقة أو إعطاء المحتاجين من القيم الإنسانيّة التي حثّت عليها الأديان السماويّة جميعاً؛ فهي وسيلة مهمّة للتكافل الاجتماعيّ؛ إذ تساعد على التوازن والاستقرار, وحماية المجتمع من أن يسوده العوز والفقر. وقد حثّ عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) في أغلب كلامه, ومن أشهرها وأوجزها قوله (عليه السلام): (اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٣٧٢/١٨).

فالإمام عليّ (عليه السلام) انطلق في قوله هذا من قيمة عُليا يسعى لها الناس جميعاً, وهي قيمة الرزق والخير النازل من الله سبحانه وتعالى على خلقه أجمعين. ارتكز الإمام عليّ (عليه السلام) على إيمان مخاطبيه بحقيقة إنّ الرزق من عند الله ينزله على من يشاء من عباده بناءً على (قاعدة المعتقدات، والمُسبقات الخاصّة التي يقبلها المخاطَب بدون أدنى شكّ إعمال للعقل, أو الروية, بل يقبلها باعتبارها أحكاماً مسبّقة وعامّة تؤثر في الجميع) (عشير، ٢٠٠٦، صفحة ١٦٩). فإيمان مخاطَبيه بأنّ الرزق بيد الله جعله يأخذ ذلك منطلقاً لدعواه, فهذا الرزق هو الغاية المبتغاة للخلق جميعاً؛ فمن لا يحب أن يرزقه الله الخير الوفير؟؛ وهذه النتيجة يحصل عليها الناس لو أخذوا بأسبابها, ومن أهمّ هذه الأسباب هو دفع الصدقة بإعطائها للمحتاجين والمساكين من الناس, فانطلاقه (عليه السلام) من قيمة راسخة في نفوس وعقول مخاطبيه؛ ليبني عليها قيمة إنسانيّة دينيّة هي قيمة العطاء التي تمثّلت بالصدقة.

– قيمة الصحّة :

تعدّ قيمة الصحة والتنعّم بها من أهمّ القيم الإنسانيّة لدى المجتمعات جميعاً؛ لذا جعلها الإمام عليّ (عليه السلام) منطلقاً في خطابه بقوله: (صِحَّةُ الجَسَدِ مِن قِلَّةِ الحَسَدِ) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٥٣/١٩).

انطلق أمير المؤمنين (عليه السلام) في دعواه للناس بترك الحسد الذي هو آفة المجتمع, من قيمة مهمة وغاية مرجوّة من قِبل الناس جميعاً وهي قيمة الصحّة؛ فلا هناء لحياة من غير صحّة وعافية؛ لذا جعل الإمام (عليه السلام) السبب أو الحجّة للوصول لهذه النتيجة, هو ترك الحسد؛ لِما له من أثر نفسيّ يجعل المرء لا يهنأ بعيش ولا يستشعر بنعمة ما عنده؛ فيسقم جسده ويهلك نفسه بما يجده من مضاضة المنافسة والحسرة على ما عند غيره من النعم وفضائل الله عليه. فالإمام (عليه السلام) حثّ بهدم قيمة الحسد في نفوس وفكر سامعيه, جعلها سبباً يسلبهم نعمة الصحّة التي لا تضاهيها نعمة. فكفى بها رادعاً عن ترك الحسد.

– قيمة الهيبة:

انطلق الإمام عليّ (عليه السلام) من قيمة الهيبة؛ لِما تحمله من أثر إقناعيّ حجاجيّ في نفوس وعقل سامعيه؛ ليجعلها مرتكزاً يبني عليه غايته التي يروم توجيه الناس إليها ودفعهم للعمل بها واتّخاذها سجيّة في تعاملهم مع الآخرين, وهي قيمة المروءة؛ إذ قال (عليه السلام): (المُروءة بلا مال كالأسد الذي يُهابُ ولم يفترس, وكالسيف الذي يُخاف وهو مغمدٌ, والمال بلا مُرُوءةٍ كالكلب الذي يجتنبُ عقراً ولم يعقر) (لابن أبي الحديد، ٢٠٠٧، صفحة ٣٢٣/٢٠).

جعل أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) المروءة وما تحمله من قيمة عليا تجعل الإنسان مُهاباً قويّاً, حتّى مع عدم امتلاكه للمال الذي هو المعيار السائد عند الناس آنذاك؛ لتحديد الهيبة والقوّة بما يمتلكه المرء من مال. وحتّى يهدم هذا المعتقد الفاسد في فكر مخاطبيه؛ جعل المروءة سبباً للهيبة والقوّة وليس المال؛ إذ المال لا يستطيع أن يملكه الناس جميعاً, لكنّ المروءة سجيّة يستطيع كلّ إنسان أن يتحلّى بها بفعله وسلوكه وتعامله مع الناس؛ فينال الهيبة والقوّة. فالأسد مهاباً دون أن يقوم بالافتراس ليؤكّد هيبته, وكذلك السيف له القوّة والهيبة دون أن يخرج من غمده, فكذلك صاحب المروءة مهاب قوي. وبهذا يكون الإمام (عليه السلام) قد وجّه سامعيه إلى اتّخاذ المروءة سلوكاً في حياتهم وتعاملهم مع الناس وجعلها من القيم الإنسانيّة الراسخة التي ينبغي لهم أن يتسابقوا للحظوة بها واكتسابها.

– النتائج:

– إنّ كلام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) هو نفحة من العلم الإلهيّ, وشعلة نور من كلام النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم), فهو تأكيد وتذكير لِما جاء به الدين الإسلاميّ من قضايا وحقائق وقيم.

– استعان أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلامه بالآليّات اللغويّة والبلاغيّة والعقلية والنفسيّة في إظهاره للقيم التي يريد

طرحها وترسيخها في نفس السّامع.

– إنّ أغلب كلام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) يتناول القضايا الإنسانيّة في أبعادها المعنويّة والماديّة كافة.

– بيّن الإمام عليّ (عليه السلام) أهمّ الركائز التي توصل الناس إلى حياة سليمة في الدنيا والفوز بنعيم الجنّة في الحياة الآخرة.

– استطاع أمير المؤمنين (عليه السلام) تثبيت وترسيخ القيم التي جاء بها الدين الإسلاميّ حتى لا تعود النعرة الجاهليّة من جديد؛ إذ إنّ حبّ الناس للدنيا وتعلقهم بحطامها ومغرياتها يؤدي إلى انتشار الفساد واندثار القيم الإنسانيّة عامّة والإسلاميّة خاصّة.

المراجع:

القرآن الكريم.

ابن أبي الحديد , شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد , تحقيق: محمد إبراهيم, الطبعة الأولى, دار الكتاب العربي, بيروت – لبنان, (٢٠٠٧).

بوفرومة حكيمة, دراسة الأفعال الكلاميّة في القرآن الكريم– مقاربة تداولية, (جامعة مولود معمري, الجزائر, الخروبة) خطاب, العدد الثالث (٢٠٠٨).

جليل منصور العريض, فكر الإمام عليّ بن أبي طالب كما يبدو في نهج البلاغة, الطبعة الأولى, مؤسسة علوم نهج البلاغة, كربلاء المقدّسة, العراق, (٢٠١٨).

حافظ إسماعيل علوي, و آخرون, الحجاج مفهومه ومجالاته, الطبعة الأولى, عالم الكتب الحديث, إربد, الإردن, (٢٠١٠).

حمّو النقاري, و آخرون, التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه, الطبعة الأولى, منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة, الرباط, المملكة المغربيّة, (٢٠٠٦).

سامية الدريدي, الحجاج في الشعر العربيّ القديم من الجاهليّة إلى القرن الثاني الهجريّ– بنيته وأساليبه, الطبعة الثانية, عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع, أربد, الأردن, (٢٠١١).

طه عبد الرحمن, اللسان والميزان أو التكوثر العقلي , الطبعة الأولى, المركز الثقافي العرب, الدار البيضاء, (١٩٩٨).

عباس محمود العقّاد, العبقريات الإسلاميّة, الطبعة الأولى, دار الكتاب العربي, بيروت, لبنان, (١٩٧١).

عبد السلام عشير, عندما نتواصل نغيّر «مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج», أفريقيا الشرق, الدار البيضاء, (٢٠٠٦).

عبد القاهر الجرجانيّ , دلائل الاعجاز , تحقيق: محمود شاكر, الطبعة الخامسة, مكتبة الخانجيّ, القاهرة , (٢٠٠٤).

عبد الله صولة, في نظريّة الحجاج دراسات وتطبيقات, الطبعة الأولى, مسكيلياني للنشر والتوزيع, دار الجنوب (٢٠١١).

عليّ الشبعان, الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة (بحث في الأشكال والاستراتيجيّات), الطبعة الأولى, دار الكتاب الجديد المتحدة, بيروت– لبنان,(٢٠١٠).

علي بن محمد الليثيّ الواسطيّ, عيون الحكم و المواعظ, الطبعة الأولى, مطبعة دار الحديث, قم, إيران, (١٤١٨هـ).

علي محمد الصلابي, سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب شخصيته وعصره دراسة شاملة, الطبعة الأولى, مؤسسة اقرأ, القاهرة, مصر (٢٠٠٥).

كمال الزمانيّ, حجاجيّة الصورة في الخطابة السياسيّة لدى الإمام عليّ (رضي الله عنه), الطبعة الأولى, عالم الكتب الحديث, إربد, الأردن (٢٠١٢).

لالاند اندريه, موسوعة لالاند الفلسفيّة, الطبعة الأولى, عويدات , بيروت, لبنان, (٢٠٠١).

محمد الأخضر الصبيحيّ, مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه, الدار العربيّة للعلوم ناشرون– منشورات الاختلاف (بلا تاريخ).

محمد العمريّ, في بلاغة الخطاب الإقناعي– مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية: الخطابة في القرن الأوّل أنموذجاً, الطبعة الثانية, أفريقا الشرق, (٢٠٠٢).

محمد بن مكرم بن منظور, لسان العرب, دار صادر, بيروت – لبنان (١٤١٤–١٩٩٣).

محمد سالم الأمين, الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر , الطبعة الأولى , دار الكتاب الجديد المتحدة, بيروت, لبنان, (٢٠٠٨).

محمد كاظم القزويني, الإمام عليّ «ع» من المهد إلى اللحد, الطبعة الثانية, مؤسسة النور للمطبوعات, بيروت – لبنان (١٩٩٣).

محمد مهدي شمس الدين, دراسات في نهج البلاغة, الطبعة الأولى, دار الكتاب الإسلامي , قم – إيران (٢٠٠٧).

محمود عكاشة, لغة الخطاب السياسي – دراسة لغويّة تطبيقيّة في ضوء نظريّة الاتصال, دار النشر للجامعات, القاهرة (٢٠١٤).

ناصر مكارم الشيرازيّ, نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة, الطبعة الأولى, مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام),

Website address

White Dome Magazine

Republic of Iraq

Baghdad / Bab Al-Muadham

Opposite the Ministry of Health

Department of Research and Studies

Communications

managing editor

07739183761

P.O. Box: 33001

International standard number

ISSN3005_5830

Deposit number

In the House of Books and Documents (1127)

For the year 2023

e-mail

Email

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb